خطاكم يا أهيل الجامعات!

٢٥/ ٢/ ١٤٣٧هـ

في اليــوم الذي أذهب فيــه إلى الجامعة، وكلما اقتربــتُ من موقعها؛ شــعرتُ وكأنني في أمواج متلاطمة من الســيارات، تُقــدّر بالآلاف، وبعضهــا يُقلُّ أكثرَ من راكب، وفي غضون أقل من ســاعة زمن، يدخل أســوارَ الجامعة عشراتُ الآلاف من الطلاب، بعضُهم يأتي من مســافةِ قصْر، وكثيرٌ منهم قريبٌ من مســافة القصْر، هذا في رحلة الذهاب فقط، ويتكرر هذا المشهد نفسه في بقية الجامعات، على تفاوتٍ في العَدد.

يبقى هؤلاء الطلاب قرابة ســت ســاعات على طاولات الدراسة، يَتلقون أنواعًا من العلوم، ومنهم مَن تخصَّص في علوم الشريعة بفروعها المختلفة، وأكثرُهم في علوم أخرى تحتاج إليها الأمّة.

كنتُ أفكّر في هذه الأعــداد الكبيرة من الطلاب، وكم هي الأوقاتُ التي تذهــب، والأموال التي تُنفق، والجهود التي تُبذل؟! شيء لا يمكن إحصاؤه، ولا عدّه!

في هذا الزحام البشري تبرز نفوسٌ كبيرة، وهممٌ عاليةٌ، وقلوبٌ تعلّقت

بأســـمى المعاني، فهي في أيّ تخصص كان، حيث تربّت هذه النفوس على الاحتســـاب في خطاها، وممشاها من بيوتها حتى عودتها في الهاجرة، فهم يطلبون علومًا تحتاج إليها الأمة، ولســـانُ حـــالِ أحدِهم يقول: ما دُمتُ ســـأذهب فلِمَ لا أحتســـب ذهابي وإيابي؛ ليَثقل ميزاني، ويَعظم أجري؟ وقدوتهـــم في ذلك أصحابُ محمـــدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فهذا معـــاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يلتقي رفيقه في المهمة الدعوية التي وكّلهما بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اليمن، فتحدثا في أمورٍ كثيرةٍ، منها أنهما تذاكرا القيامَ من الليل، فقال معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أما أنا فأنام وأقوم، وأرجو في نومتي ما أرجو في قَومتي[1].

وعـــن أُبيّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رجـــلٌ لا أعلم رجلًا أبعدَ من المسجد منه، وكان لا تُخطئه صلاة، قال: فقيل له: لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء، وفي الرمضاء؟ قال: ما يَسرّني أن منزلي إلى جنب المســـجد، إني أريد أن يُكتب لي ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قد جَمَع الله لك ذلك كله**»[2].

أليـــس من الغَبن أن يفـــوّت طالبُ الجامعة، والأســـتاذُ، والموظفُ؛ فرصةَ مضاعفة أجوره وحســـناته، وهي لا تُكلّف شيئًا سوى الالتفات إلى هذا القلب وتذكيره بأمر النيّة؟!

وقد أعجبني صنيـــعُ ابن الجوزي في (صيد الخاطـــر)، حيث أبدى، وأعـــاد في هـــذا المعنى في مواضع مـــن كتابه، ومن ذلـــك قوله: «ينبغي للإنســـان أن يَعرف شرف زمانه، وقدْر وقته، فلا يضيّع منه لحظة في غير

(١) رواه البخاري (رقم٦٩٢٣)، ومسلم (رقم١٧٣٣).
(٢) رواه مسلم (رقم٦٦٣).

قُربة، ويُقــدّم الأفضلَ فالأفضل من القول والعمل، ولتكن نيتُه في الخير قائمة من غير فتور بما لا يَعجز عنه البدن من العمل، كما جاء في الحديث: «**نية المؤمن خير من عمله**»[1]»[2].

وبحسبة يَســيرة بين اثنين: أحدُهما لا يحتســب نيتَه، وآخر يحتسبها؛ فسيظهر الغبنُ في شهر، فضلًا على سنة أو أربع سنوات!

ومثله في ذلك المدرّس -جامعيًّا أو غيره- كم يُفوّت على نفســه من الأجــور بغفلته عن هذه المعاني! مع أنه لو اســتحضر نيّة التعليم، ونَفْع الأمّة ورفعتهــا، وبناء الأجيال بالتعليم القوي؛ لحــاز أجورًا مضاعفةً، والبدنُ لم يتحمّل عبئًا جديدًا، بل المعروف أن احتساب القلب يهوّن تعبَ البدن، والموفَّق من وفّقه الله، وجعل مِن عاداته عباداتٍ وقرباتٍ إلى الله، رزقنا الله ذلك بمنّه وكرمه.

(١) قال الشوكاني في الفوائد المجموعة (ص٢٥٠): «قال ابن دحية: لا يصح، وقال البيهقي: إسناده ضعيف. وله شواهد»، وضعفه ابن حجر في الفتح (٤/ ٢١٩).
(٢) صيد الخاطر (ص٣٣).